Rare Books in Syria
A Study of Essence & Standards

Dr. Yanal Omran*

(Received 23 / 3 / 2022. Accepted 31 / 7 / 2022)

□ ABSTRACT □

This study tends to crystallize the concept of rare books together with surveying a practical study of their reality in Syria in addition to probing their dimensions within the spaciotemporal frame and statistical control. The researcher, however, adopts the descriptive method in her case study, which handles one single case per se, in an attempt to pinpoint quintessentially the issue under study. This study concludes with a few interesting points, such as: the findings show the non-existence of a precise and accurate definition to the term *rare books*. Findings also reveal that ancient rare books in Syria could be identified within the period 1706-1929, and the number of books reached 1211. In brief, the study concludes with the fact that Syria has been the first Arab country unprecedented in the publishing world since 1706.

This study recommends the necessity to simultaneously proceed the project of digitizing rare books in Syria, and to work hard to collect the rare books scattered over Syrian geography. This is so via issuing a law that simulates the legitimizing legal submission, and preparing indexes that control rare books in Syria, since this is a part and parcel of the intellectual product that represents the national memory providing that such a process is redeemed accessible and timely controlling such rare books.

Keywords: rare books; publishing in Syria; access to rare books.

* **Associate Professor, Department Of Libraries And Information, Faculty Of Arts And Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.** Yanal-omran@hotmail.com

الكتب النادرة في سورية: دراسة في مفهومها ومعاييرها

د. ينل عمران*

(تاريخ الإيداع 23 / 3 / 2022. قبل للنشر في 31 / 7 / 2022)

□ ملخّص □

تهدف الدراسة إلى تأصيل مفهوم الكتب النادرة مع استعراض دراسة تطبيقية لواقعها في سورية مع ذكر أبعادها في إطار الزمان والمكان وضبطها عدديا. وقد اتبعت الباحثة منهج دراسة الحالة بأسلوب وصفي، الذي يقوم بدراسة حالة واحدة بعينها تستقصيها استقراء وتحليلا بقصد معرفة الحالة المدروسة عن كثب ، وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج أهمها: بينت المعطيات التي تم التوصل إليها عدم وجود مفهوم محدد أو تعريف جامع مانع لمصطلح الكتب النادرة، كما كشفت معطيات الدراسة أن الكتب النادرة القديمة في سوريا، يمكن ضبطها بين أعوام 1706 حتى 1929، وبلغ عددها 1211 كتابا نادرا، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن سورية كانت أول دولة عربية سباقة في عالم الطباعة حيث تعود إلى عام 1706.

أوصت الدراسة بضرورة الإسراع في مشروع رقمنة الكتب النادرة في سورية، والعمل على محاولة جمع الكتب النادرة المنتشرة في الجغرافية السورية، وذلك من خلال صك قانون يشبه تشريع الإيداع القانوني، والعمل على إعداد أدلة تضبط الكتب النادرة في سورية، على اعتبار أنها جزءا لا يتجزأ من الإنتاج الفكري الممثل للذاكرة الوطنية ولتسهيل عملية الضبط والإتاحة المحدودة لتلك المصادر النادرة .

الكلمات المفتاحية: الكتب النادرة، الطباعة في سورية، إتاحة الكتب النادرة في سورية.

*أستاذ مساعد_ قسم المكتبات والمعلومات_ كلية الآداب والعلوم الإنسانية_ جامعة تشرين_ اللاذقية_ سورية
Yanal-omran@hotmail.com

مقدمة

تعود بداية التفكير في الدراسة الحالية إلى الوقت الذي اجتمعت فيه جمعية المكتبات والوثائق السورية لانتخابات مجلس إدارة الجمعية في رحاب جامعة تشرين بمدينة اللاذقية تاريخ 10/29/ 2021، حيث تم تناول موضوع الكتب النادرة على هامش ذلك الاجتماع ولم نصل إلى رأي واحد أو متقارب حول ماهية الكتب النادرة وتحديد خصائصها. فوجدت الباحثة أن موضوعا كهذا يحتاج إلى أكثر من مجرد مناقشة علمية، والتي يغلب عليها العمومية والوصف السريع، فالموضوع يستحق في حد ذاته دراسة علمية مستقلة والتزاما بأصول المنهج العلمي وعمقا في تحليل الكتب النادرة كحالة بعينها. وما ساعد الباحثة على توطيد العزم على تناول تلك الحالة في دراسة مستقلة إضافة إلى ما ذكر سابقا، ما خرجت منه من استقرائها للأدبيات من ندرة الاهتمام بموضوع الدراسة، فهناك عدد لابأس به من الدراسات التي تناولت وصفية مصادر المعلومات والكتب التراثية في سورية، فيما الكتب النادرة ظلت موضوعا مهملا أو منسيا من قبل الباحثين. وهذه مشكلة حقيقية لا افتراضية تتطلب دراسة علمية متكاملة تتحدث بلغة المنهج أكثر ما تتحدث بلغة المناقشات حتى وان كانت علمية.

أهمية البحث وأهدافه:

الأهمية والمبررات:

ليس ثمة شك أن الكتاب في أي دولة يعتبر مظهرا أساسيا من مظاهر نهضتها و مرآة صادقة لعقول أبنائها. والحقيقة أن هذه الحركة قد حظيت بدراسة جوانب عديدة منها ، إلا أن جانب الكتب النادرة وخصائصها لم يحظيا بأية دراسة متكاملة الأطراف ، إذ اهتمت بعض الدراسات بجانب الطباعة واهتمت دراسات أخرى بجانب النشر، أما الصورة الكلية للكتب النادرة وخصائصها فلم يحظيا بأية دراسة على الإطلاق، كذلك فان مفهوم الكتب النادرة وخصائصها في سورية لم تمتد إليها يد بالدرس والبحث والتنقيب وإماطة اللثام عنها. وبما أننا لا يمكن أن نفهم أو نتتبع واقع الكتب النادرة في سورية إلا من خلال وضع الأسس المنهجية لخصائصها ومن هنا تأتي أهمية ومبررات البحث الذي سعى إلى تسليط الضوء على الكتب النادرة، وكان الدافع إلى الاهتمام بموضوع هذا النوع من الكتب بالذات هو قيمتها واعتبارها ثروة كبيرة تحتفظ بها المكتبات في مجموعات خاصة محدودة الإتاحة بحيث أصبح من الضروري الحفاظ عليها

هدف البحث وأسئلته:

لقد كان الهدف الرئيس من إعداد هذه الدراسة هو تأصيل مفهوم الكتب النادرة ومعاييرها، مع استعراض دراسة تطبيقية لواقعها في سورية، مع ذكر أبعادها في إطار الزمان والمكان وضبطها عدديا. وقد رأت الباحثة أن التعرف إلى الهدف الرئيس يبرز من خلال استعراض أهم المفاهيم المتوافرة في الأدبيات المتخصصة وتحليلها في ضوء صفات خصائصها وبالتالي الخروج بحقائق ومعطيات يمكن أن يستأنس بها القائمون على شؤون المكتبات وبالذات مكتبة الأسد الوطنية للتفريق بين الكتب العامة والكتب النادرة. ويمكن تحقيق هدف الدراسة من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها مصطلح الكتب النادرة؟ بهدف تقنين المفاهيم وتوحيد المصطلحات.

2- ما الخصائص التي يعتمد عليها المصطلح؟ بغرض تمييز الكتب النادرة عن غيرها من الكتب والمصادر التراثية الأخرى.

3- إذا كان بين مجالات الخصائص تاريخ الطباعة لتحديد الكتب النادرة من غيرها. فما هي بداية الطباعة في سورية وتطورها في المحيط الثقافي والاجتماعي؟

4- إذا كانت سورية كما هو معروف من الدول الغنية في الكتب النادرة حسب سياقها الحضاري الكبير، فما هي أعداد هذه الكتب؟

منهجية البحث:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على منهج دراسة الحالة بأسلوب وصفي، الذي يقوم بدراسة حالة واحدة بعينها تستقصيها استقراء وتحليلا بقصد معرفة الحالة المدروسة عن كثب.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في فهارس المكتبات الجامعية والوطنية في سورية، وبعد استعراض الدراسات حول هذا الموضوع من فهارس المكتبات العالمية المتاحة على الخط المباشر تبين وجود دراستين فقط، واحدة محلية والثانية عربية.

المحلية: كانت أعمال ندوة بعنوان "الكتب النادرة بمكتبة الأسد الوطنية ومطابعها وأهم المشكلات والتحديات في توثيق المخطوطة العربية" التي عقدت ضمن الفعاليات المرافقة لمعرض الكتاب في دورته الحادية والثلاثين وأدارها مدير المكتبة، حيث تناولت رئيسة قسم المخطوطات في المكتبة (الحسن) أهم المشكلات والتحديات في توثيق المخطوطات العربية، أما الباحثة (هبة) فقد تناولت في ورقتها تاريخ الطباعة العربية وأهميتها.(2)

العربية: مقالة لعبد الهادي بعنوان رقمنة الكتب النادرة وتقنياتها: المكتبة التراثية بجامعة القاهرة نموذجا. حيث هدف الباحث إلى وصف وتحليل مشروع رقمنة الكتب النادرة بالمكتبة التراثية بجامعة القاهرة والخروج ببعض المقترحات التي يمكن أن تساعد على انجاز المشروع على أفضل نحو ممكن مؤكدا على أهمية الكتب النادرة وقيمتها بحيث أصبح من الضروري الحفاظ على أصولها وعمل نسخ رقمية منها تتاح للتداول داخل المكتبات وخارجها.(5)

وبتعقيب سريع على الدراستين السابقتين يتضح أن الدراسة المحلية على الرغم من عنوانها "الكتب النادرة" إلا أنها لم تتناول الكتب النادرة لا من قريب و لا من بعيد حيث كان التركيز على المخطوطات العربية ومشاكل توثيقها، أما الثانية فكان جل اهتمامها منصب على قضية رقمنة الكتب النادرة. ومن هنا يتضح أن الدراسة الحالية تختلف عنها من حيث تأصيل المصطلح مع التركيز عل خصائصه ومعاييره للتفريق ما بينه وبين الكتب عامة والتراثية خاصة.

ثانيا: الإطار العلمي

ستتم معالجة هذا الجانب من الدراسة الحالية من خلال ثلاثة مستويات رئيسة.

المستوى الأول: الكتب النادرة المفهوم والأبعاد

لأن مصطلح الكتب النادرة كان نتيجة تزاوج بين مفردتين، فلابد من إلقاء الضوء على هاتين المفردتين(كتب، نادرة) لرسم الحد الفاصل بينهما ثم نحدد مفهوم المصطلح المركب.

الكتب: الكتاب في عرف منظمة اليونسكو هو المطبوع غير الدوري الذي يشتمل على تسع وأربعون صفحة فأكثر بدون صفحات الغلاف، والكتيب هو المطبوع غير الدوري الذي يقل عدد صفحاته عن هذا العدد، وبطبيعة الحال يذكر خليفة أن الكتاب أو الكتيب يحمل معلومات في أي فرع من فروع المعرفة البشرية.(1)

النادرة: هي احدى المفردات المشتقة من المصدر (نادر) وتورد العديد من المعاجم اللغوية الكثير من المعاني المشتقة من هذا المصدر الذي يدور في فلك الأشياء التي يقل وجودها أو حدوثها ولا تتكرر.(9)

أما بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي فيذكر لنا الصوينع نقلا عن Carter أربعة مفاهيم أساسية لتصنيف الندرة. نلخصها على النحو التالي:

- الندرة المطلقة: ويوصف بها الكتاب المطبوع منه عدد محدود جدا من النسخ أو لم يبق منه الا نسخة أو نسختان في العالم.
- الندرة النسبية: وتقاس بالعدد المتوافر من نسخ الكتاب مع حجم الطلب عليه.
- الندرة المؤقتة: وسببها نقص التزويد من النسخ التي يحتاجها السوق للكتب الحديثة التي ازداد الطلب عليها مؤخرا.
- الندرة المحلية: وتشتمل تلك الكتب التي عليها طلب من خارج منطقة تداولها.(4)

وإذا كان مفهوم المفردتين (كتب، نادرة) هو ما وضحناه سابقا فإن المصطلح المركب (كتب نادرة Book Rarities) يتمثل في شكل الكتب غير العادية إما أن تكون على هيئة الكتب محدودة النسخ أو الكتب القديمة التي طبعت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مثل أوائل المطبوعات. ونظرا لأهمية هذه الكتب وقيمتها التي لا تقدر بثمن فإنها تحفظ في المكتبات خاصة الوطنية منها في مجموعات خاصة محدودة التداول.

وفي المقابل يعرف الصوينع الكتاب النادر بأنه الكتاب القديم بطبعته الأصلية النافذة من الأسواق منذ مدة طويلة، مع وجود حرص شديد على اقتنائه لما يمتاز به من الخصائص الشكلية والموضوعية المرغوبة. والكتاب النادر كما تدل على ذلك صفته هو الذي يصعب الحصول عليه معروضا للبيع باستمرار أو لا يوجد إلا لدى قلة قليلة من الناس والمكتبات، بل قد لا يكون متوافر في أي مكتبة بالمدينة أو الدولة، وربما لا يوجد منه إلا نسخ قليلة أو نسخة واحدة بالعالم فيصبح الكتاب فريدا ونفيسا.(4)

ويذكر المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات لصاحبيه "الشامي وحسب الله" تعريفا مختصرا غير مكتمل الأركان للكتب النادرة: الكتب التي يعرف أن نسخا قليلة لا تزال منها في السوق.(10)

واستكمالا لنفس المرجع السابق تذكر الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات تعريفا شبيه بالتعريف السابق الكتاب النادر كتاب من الصعب الحصول عليه، أو يظهر من حين لآخر في قوائم تجارة الكتب القديمة. ومن بين الكتب النادرة: كتب أوائل الطباعة، والطبعات القديمة قبل سنة 1800، وأول طبعة من عمل أدبي، والكتب ذات الأغلفة الفاخرة، والطبعات الفريدة، أما درجة الندرة فهي غير محدودة، وحاليا يفضل الكثيرون استخدام مصطلح المجموعات الخاصة أو مجموعات البحث.(11)

وفي نفس هذا السياق المرجعي يذكر ODLIS معجم علم المكتبات والمعلومات المتاح على الخط المباشر أن الكتاب النادر هو قيم ومن الصعب الحصول عليه بسبب قلة نسخه، وهي كتب مألوفة لبائعي الكتب الأثرية أو القديمة، ومعظم المكتبات تحفظها في مجموعات خاصة بشكل آمن، وهي محدودة الإتاحة أو مقيدة بشروط خاصة للاستخدام.(12)

وبهذا يمكن القول أن التعريفات السابقة تدور جميعها في فلك الكتب القيمة، والقديمة، والنسخ محدودة التداول، وأثمانها مرتفعة، وتحفظ في شروط خاصة وفي أماكن آمنة، وهي محدودة الإتاحة أو مقيدة الاستخدام، وهي كتب تتعامل معها المكتبات ومعروفة لبائعي الكتب الأثرية أو القديمة، وأحيانا تباع في مزادات الكتب بواسطة تجار الكتب النادرة.

المستوى الثاني: معايير الكتب النادرة

حيث أن الدراسة الحالية تهدف إلى مساندة القائمين على شؤون المكتبات لتفريق الكتب النادرة عن سواها فقد كان من الضروري التعرض لمعايير الكتب النادرة لتكون بمثابة الدليل العلمي لتحديدها وتميزها عن باقي الكتب الأخرى، وذلك على النحو الواضح في الفقرات التالية.

فقد لخص الصوينع مجموعة معايير وخصائص تراها الباحثة هامة جدا في هذا الجانب التي تجتمع كلها أو بعضها في وصف الكتب النادرة بما يلي:

1. التقادم: ويعني الأسبقية في تاريخ الطباعة والنشر بين الكتب العربية أو الأسبقية بين طبعات الكتاب الواحد.
2. التميز والتفرد: ويشمل ذلك قلة النظائر للكتاب ذاته أو من النسخ المتاحة أو الطبعات المتوافرة.
3. الشكل: ويشمل صناعة مادة الكتاب وتميزه في الطباعة والتجليد والتزويق الداخلي والخارجي.
4. الوعاء: ويشمل الكتب المطبوعة على الوسائط المنقرضة أو غير المألوفة مثل ورق البردي والجلود والرقوق والنحاس والحجر والأصداف ونحوها من المواد الكتابية القديمة أو المعدة لأغراض خاصة.
5. سيرة الكتاب: وتشمل تلك الظروف المحيطة بتأليف الكتاب ونشره واستخدامه وتأتي سيرة الكتاب على هيئة معلومات خاصة منشورة في مصادر أخرى أو معلومات ملحقة بالكتاب ذاته مثل التعليقات المضافة والتوقيعات.
6. التكامل: وتشمل تلك النسخة أو الطبعة الأتم والأدق في النصوص والمعلومات مع اكتمال أجزاء الكتاب وسلامته من العيوب.
7. الأصالة: وتشمل ذلك الطبعة الأصلية غير المزورة أو المصورة فكل كتاب نادر ينبغي أن يكون أصليا.
8. مضمون الكتاب: ويشمل ذلك القيمة المعلوماتية أو القرائية والطرافة أو الغرابة في محتوى الكتاب فيما لا يكون له نظائر في محتواها.(4)

وفي الوقت نفسه لاحظ السريع مجموعة معايير تحدد ماهية الكتاب النادر وجمعها في أربع صفات ، هي:

1. الندرة من حيث تاريخ طباعة الكتاب الذي يختلف من بلد إلى آخر ففي الولايات المتحدة الأمريكية يعد الكتاب نادرا إذا كان مطبوعا قبل العقد الثاني من القرن التاسع عشر، وفي أمريكا اللاتينية يعد نادرا إذا كان مطبوعا قبل منتصف القرن الثاني عشر.
2. من حيث عدد النسخ المطبوعة: فيعد الكتاب نادرا إذا كان مطبوعا لأول مرة بأعداد محدودة جدا تتراوح بين نسخة واحدة إلى ثلاثمئة نسخة لأسباب تتعلق بنوع الورق أو الحبر أو طريقة الطباعة.
3. أما من حيث شكل الكتاب فيعد الكتاب نادرا إذا كان مطبوعا على نوع قديم من الورق كورق البردي أو غير الورق كجلد الغزال، أو كان مجلدا تجليدا غريبا أو مطبوعا بأحجام مختلفة من الأحجام المعتادة مع قلة عدد النسخ.
4. أما شكل الخط والطريقة التي كتب بها فيعد الكتاب نادرا إذا كان مخطوطا بخط قديم غير مستعمل في الوقت الحاضر أو كان يحتوي على صور ورسومات وخرائط قديمة أو نادرة، كذلك يطلق بعض المكتبيين صفة الندرة على الكتب الموقعة من مؤلفيها في طبعاتها الأولى.(3)

وترى الباحثة أنه لا تضارب في الواقع بين الرأيين السابقين(رأي الصوينع ورأي السريع) ويمكن التوفيق بينهما إلى درجة كبيرة إلا في عدد النسخ المذكورة عند السريع.

وفي نفس هذا السياق يذكر عبد الهادي بعض من هذه المعايير المتعلقة بالكتب القديمة التي طبعت أوائل عصر الطباعة، أوالتي طبعت قبل القرن العشرين مع اختلاف في التواريخ من بلد لآخر، والندرة ليست بسبب قدم الكتب فحسب وإنما أيضا بسبب خصائص أخرى فريدة يتميز بها بعض الكتب مثل الطبعات الأولى للمؤلفين المعروفين وللمطابع المعروفة ومثل الاهداءات ذات الطابع الخاص. أو التعليقات الفريدة على الكتب، أو الكتب المطبوعة طباعة خاصة أو المجلدة تجليدا خاصا أو المصممة للتوزيع على أناس بعينهم أو ما شابه.(5)

وإذا كانت الدراسات سابقة الذكر (الصوينع، السريع، عبد الهادي) هي تلك التي تناولت معايير وصفات الكتب النادرة ، فهذا لا يعني بالضرورة أنها ثابتة ومحددة حيث لاحظت الباحثة وجود بعض الاختلاطات فيها مما اضطرها إلى وضع حد فاصل بين المعايير التي تنطبق على الواقع الذي تعيشه الكتب النادرة حيث قسمت المعايير إلى قسمين:

أولا: معايير الكتب النادرة الجديدة على النحو الآتي

- الكتاب الذي يحمل توقيع المؤلف أو صاحب المحتوى الفكري، خاصة إذا كان شخصية مرموقة ومهمة في المجال، فعلى سبيل المثال الكتب التي تحمل توقيع أو إهداء إلى مكتبة الأسد من مفكرين وأدباء أمثال حنا مينا أو نزار قباني أو سعد الله ونوس تعتبر كتب نادرة بالرغم من أنها جديدة.
- الكتب التي يتوافر فيها حواشي وتعليقات أو ملاحظات في هوامشها بخط شخصية مهمة تعتبر كتب نادرة رغم حداثتها.
- الكتب التي نفذت طباعتها من الأسواق لأنها بالأصل طبعت بعدد محدد من النسخ "طبعة محدودة" والطبعة المحدودة هي التي يذكرها ناشرها عادة في ظهر صفحة الغلاف الداخلي وأحيانا في صفحة مستقلة في أول الكتاب أو آخره... ولابد من التنويه أن ظهور الكتاب بطبعة محددة لا يكفي وحده لوضعه بالندرة بل يكون هذا مؤشر يضاف إلى مؤشر آخر كأهمية محتوى الكتاب (مثلا وصفا أوليا للاستكشاف التاريخي لسورية أو بعض المعلومات الخاصة حول إحدى الشخصيات التاريخية البارزة في سورية).
- صناعة شكل الكتاب، يمكن أن يكون الكتاب مطبوعا على ورق غريب مع دمغة نادرة أو تجليد فني أو تصميم مبتكر، فعلى سبيل المثال في بعض الدول الثرية تكتب بعض الطبعات الخاصة بماء الذهب الخالص وتكون عادة بنسخ محدودة التوزيع.
- الكتب التي تعرضت لسبب من الأسباب للمنع من النشر يمكن أيضا اعتبارها نادرة ومهمة بما أن نسخا قليلة منها ترى النور مثل كتاب أولاد حارتنا لنجيب محفوظ. ولعل من الهام في هذه النقطة بالذات أن نذكر أن دلالية الندرة تختلف بين مجتمع ومجتمع آخر، فإذا كان كتاب أولاد حارتنا من الكتب النادرة في مصر فهو ليس بنادر في سورية، ورواية وليمة لأعشاب البحر لحيدر حيدر التي منعت في بعض بلاد المغرب العربي ومصر وأصبحت من الكتب النادرة في حين نجدها في بلاد المشرق العربي ليست بذلك، و أيضا رواية عالم رائع جديد لمؤلفه الانجليزي ألدوس هكسلي التي منعت في العديد من الدول الأوربية.
- حالة الكتاب المادية: وهذا معيار هام عند تحديد الكتاب النادر بسبب حالة الكتاب ومظهره الخارجي المتآكل، مع عدم إمكانية استبداله بسبب نفاذ طبعاته أو أي سبب آخر.

ثانيا: معايير الكتب النادرة القديمة، وهذه بدورها تنقسم إلى جزأين هما:

الجزء الأول الخاص بالكتب العربية

تؤكد الباحثة في هذا الجزء الهام من المعايير الخاصة بالكتب العربية النادرة إلى اختلاف الآراء حول الفترات الزمنية التي يحسب للكتاب فيها ندرته، ففي مصر حصرت الكتب العربية النادرة بدءا من عام 1514 تاريخ طباعة كتاب (صلاة السواغي) في ايطاليا حتى عام 1862م.

أما في العراق فقد حصرت دار الكتب الوطنية الكتب العربية النادرة في الفترات التي صدرت فيها قبل عام 1929م. حيث اعتمدت هذه الفترة لأسباب تتعلق بنهضة صناعة الكتب كنوع الورق والحبر وآلية الطباعة.

أما في سورية وهذه تذكر للمرة الأولى وتقترح الباحثة حصر الكتب العربية النادرة من ظهور أول كتاب عربي طبع في مطبعة الأب دباس في حلب وهو المزامير الذي نشر عام 1706 وما نشر بعد ذلك حتى عام 1929م حيث اعتمدت هذه الفترة لأسباب تتعلق بنهضة صناعة الكتب كنوع الورق والحبر وآلية الطباعة.

الجزء الثاني الخاص بالكتب الأجنبية

وان كان هذا المستوى الخاص بالكتب الأجنبية إلا أنه فرض نفسه للكتب العربية أيضا، بسبب تحفظ المسلمين تجاهها. وهذا ما سنأتي عليه لاحقا مما دفع علماء العالم العربي والإسلامي إلى النشر خارج أوطانهم، وهذا الجزء ينشطر إلى اثنين:

1- الكتب الانجليزية التي طبعت قبل عام 1641 وحتى عام 1501م.

2- الكتب التي طبعت في الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) قبل عام 1801م*

المستوى الثالث: الطباعة في سورية

ولما كان هناك ارتباط واضح وقوي بين تحديد ندرية الكتاب وتاريخ طباعته على النحو الموضح في الفقرات السابقة، فإن الباحثة رأت أنه من الضروري التطرق لبداية الطباعة العربية عامة وسورية خاصة نظرا لأهمية هذين المفهومين في هذه الدراسة.

من المفارقات أن نجد النشر العربي قد عرف بدايته في بلدان غريبة عن هذه اللغة فكان الأوربيون هم السباقون لطبع الكتب العربية منذ القرن السادس عشر الميلادي وبعد مرحلة المحاولات والتجارب أثناء ذلك القرن، ازدهرت المطبعة العربية عندهم في القرن السابع عشر الميلادي. وقد اهتمت عدة مدن أوربية بطبع الكتب العربية وخاصة في ايطاليا وفرنسا وهولندا وألمانيا وانجلترا وبخارست.(7)

وقد عالج العسافين في كتابه الموسوم "المعلومات وصناعة النشر: مع إشارة خاصة للواقع السوري" تلك القضية المتعلقة بتأخر دخول الطباعة إلى الديانة الإسلامية، وقسم هذه المرحلة إلى مستويين حيث أن هذا التقسيم يساعد على إبراز المؤشرات الثقافية التي أثرت في هذا المجال، وذلك على النحو الآتي:

* **تمّ توثيق تلك التواريخ بالاعتماد على قوائم أوائل المطبوعات العربية، وفهارس المجموعات المتخصصة التي تصدرها الدول المعنية.**

المرحلة الأولى: الطباعة بين أيدي الإكليروس[**]

كانت الديانة الإسلامية عموما بعيدة كل البعد عن الطباعة، وسورية خصوصا لم تألف هذا الاختراع الأوربي الحديث الوافد إليها، ولم تدرك فوائده. في نفس الوقت الذي تمكن فيه المسيحيون في سورية من معرفة مزاياه لما لهم من اتصالات مع العالم الغربي عن طريق البعثات الدينية إلى روما والبلاد الأوربية الأخرى. والواقع كانت هناك عدة مبررات دفعت المسلمين إلى التحفظ تجاه الطباعة، حيث اعتبرت عند انتشارها رجسا من أعمال الشيطان، ومن ناحية ثانية لأن الآلاف من الناسخين الذين يكتسبون قوتهم عن طريق نسخ الكتب رأوا أن مهنتهم أصبحت في خطر وهكذا تظافرت متطلبات العقلية الدينية السائدة حينئذ ودواعي المصلحة للحيلولة دون دخول الطباعة.(6)

لذلك لا غرابة إذا كانت الطباعة قد وجدت انتشارها في سورية على أيدي السلطة الدينية من الإكليروس ، وقد لعبت علاقة المسيحيين معتنقي المذهب الأرثوذكسي في سورية لزملائهم في أوربا الشرقية دورا مباشرا في إقامة مطابع عربية مسيحية في سورية، حيث قام بطريرك أنطاكية (أنناسيوس الثالث دباس) بزيارات عديدة إلى رومانيا لجلب الكتب الدينية اليونانية منها ثم للتقدم بطلب إلى حاكمها لطبع كتب أرثوذكسية بالعربية. وقد جاء هذا الطلب بعد أن رفضت كنيسة روما الكاثوليكية طبع هذه الكتب بسبب الخلافات العقائدية بين المذهبين، ورغم نجاح المطبعة العربية التي تأسست في بوخارست سنة 1701م في نشر كتابين، فقد فشلت في مواصلة عملها بسبب صعوبة الاتصال وسبب غياب العرب المتخصصين بمراجعة النصوص العربية وإصلاح الأخطاء المطبعية. لذلك فكر البطريرك دباس في إنشاء مطبعة قريبة من طائفته بمدينة حلب، لوجود جالية مسيحية مهمة بها ولأنها المقر الثاني لبطريرك أنطاكية، تفاعلت هذه العوامل لتهيئة المناخ المناسب لإقامة المطبعة الأولى في سورية(8)، وكان كتاب المزامير باكورة إنتاج مطبعة حلب عام 1706 وهو أول كتاب باللغة العربية في الشرق وبذلك تكون حلب سباقة العرب إلى شرف الطباعة.

المرحلة الثانية: الطباعة تخرج من أيدي الإكليروس

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت الطباعة تتحرر من الطابع الطائفي، ولم تعد طباعة الكتب وقفا على الإكليروس وحدهم، فبفضل حركة البعث والتجديد توصل السوريون إلى مختلف ميادين الثقافة والعلم وأخذت دور الطباعة بنشر الكتب غير الدينية، واتخذت حركة البعث والتجديد صورة يقظة عربية قومية كبيرة، واقترنت هذه الحركة بأسماء ورجال وفي طليعتهم آل اليازجي وآل البستاني، فقد كان لهم يد في دفع الإنسان الشرقي في بلاد الشام نحو اليقظة، وفي عملية نفض الغبار عن ركام هائل ومنسي من التراث القديم، وفي حركة الترجمة ونشر الكتب والمخطوطات.(6)

ويمكن القول بناء على ما سبق أن الطباعة لم تعرف طريقها إلى العالم العربي إلا بعد قرنين ونصف من ظهورها في مدينة ماينز بألمانيا عام 1447 على يد غوتنبرغ، حين دخلت مدينة حلب سنة 1706 عندما أنشأ المسيحيون الأرثوذكس أول مطبعة في العالم العربي.

أما ما يخص مصر فعرفت الطباعة بعد 114 سنة من مطبعة حلب وهي مطبعة بولاق (1820– 1822) وبعد 150 سنة من مطبعة حلب عرفت العراق الطباعة عام 1856 على يد الدومنيكان، وبعد 216 سنة من مطبعة حلب دخلت الطباعة إلى الأردن عام 1922 وقد دخلتها من حيفا، أما اليمن دخلت الطباعة في مرحلة مبكرة نسبيا

[**]الإكليروس هم أصحاب الرتب الكهنوتية (رجال الدين) وتكون وظيفتهم خدمة شعب الكنيسة وقيادتهم لمعرفة الله من خلال الإنجيل في الكنيسة الأرثوذكسية.

وهي سنة 1877 قبل أن تعرفها السعودية بخمس سنوات في 1882 حين استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة إلى الحجاز في تلك السنة، وفي دولة البحرين دخلت الطباعة سنة 1938، وقد عرفت الكويت المطبعة لأول مرة سنة 1947، أما قطر فقد دخلتها بين عامي 1955– 1956.(7)

ونظرا لأن هذا الجانب من الدراسة يعالج قضية الطباعة كمؤشر نحو تحديد معيار ندرية الكتاب، حيث هناك ارتباط بين معايير الكتب النادرة القديمة وبداية الطباعة العربية، فمن الطبيعي أن يركز هذا الجزء الأخير من الدراسة على إعطاء لمحة موجزة عن عدد الكتب النادرة المنشورة منذ نشأة الطباعة الحلبية في سورية 1706م وحتى نهاية عام 1929 –كما سبق الإشارة– موزعا على عقود وذلك لضخامة الفترة الزمنية التي تمتد إلى 223 عاما. كما في الجدول الآتي:(6)

عقود التغطية	عدد الكتب المحصورة
1709–1706	13
1719 –1710	3
1729 –1720	4
1739 –1730	2
1819 –1810	–
1829 –1820	–
1839 –1830	1
1849 –1840	3
1859 –1850	9
1869 –1860	34
1879 –1870	27
1889 –1880	140
1899 –1890	54
1909 –1900	109
1919 –1910	263
1929–1920	549
المجموع	1211

وبناء على الجدول المقتبس من العسافين يتضح أن عدد الكتب النادرة في سورية اعتمادا على المعيار الخاص بالكتب العربية القديمة الذي وضعته الباحثة من عام 1706 حتى 1929 بلغ حوالي 1211 كتابا نادرا قديما، وكما واضح من الجدول كانت حركة الطباعة متواضعة في بداياتها بسبب تخلف أدواتها وقلة نشاط المطابع، وفي القرن التاسع عشر لم

يتطور الأمر كثيرا، أما في القرن العشرين بدأت حركة الطباعة بالتصاعد نتيجة بعث نهضة السوريين الأدبية وتطورها، واستقدام المطابع لنشر الأعمال الفكرية.

الاستنتاجات والتوصيات

يمكن أن نلخص أبرز النتائج التي خرجنا بها من الدراسة الحالية في النقاط الآتية:

1- بينت المعطيات التي تم التوصل إليها عدم وجود مفهوم محدد أو تعريف جامع مانع لمصطلح الكتب النادرة.

2- أوضحت معطيات الدراسة أن كثيرا من الدراسات المتخصصة في أدب الموضوع لم يضعوا الحدود الفاصلة بين الكتب النادرة وغيرها من الكتب في إطار الخريطة العامة لمصادر المعلومات.

3- كشفت معطيات الدراسة أن الكتب النادرة القديمة في سوريا، يمكن ضبطها بين أعوام 1706 حتى 1929.

4- توصلت الدراسة إلى أن الكتب النادرة القديمة في سورية بلغ عددها 1211 كتابا نادرا.

5- أشارت نتائج الدراسة إلى أن سورية كانت أول دولة عربية سباقة في عالم الطباعة حيث تعود إلى عام 1706.

وفي ضوء أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة توصي الباحثة بما يلي:

1- العمل على محاولة جمع الكتب النادرة المنتشرة في الجغرافية السورية، وذلك من خلال صك قانون يشبه تشريع الإيداع القانوني حيث يلزم كل من يملك كتابا نادرا، إيداعه بمكتبة الأسد الوطنية بهدف حفظه وضبطه والتعريف به على اعتبار أنه جزءا من ذاكرة الإنتاج الفكري الوطني.

2- الإسراع في مشروع رقمنة الكتب النادرة في سورية، ويمكن الاستفادة في هذا من مشروع مكتبة الإسكندرية الرائد برقمنة الكتب النادرة، أو مشروع رقمنة الكتب النادرة بالمكتبة التراثية في جامعة القاهرة.

3- التأكيد على إتاحة الفرص التدريبية المناسبة للعاملين في حقل الكتب النادرة وخاصة العاملين في مكتبة الأسد الوطنية لتنمية مهاراتهم في التعامل مع الكتب النادرة وإكسابهم الكفاءة و التأهيل ....الكتب النادرة وكيفية المحافظة عليها ورقمنتها.

4- العمل على إعداد أدلة تضبط الكتب النادرة في سورية، على اعتبار أنها جزءا لا يتجزأ من الإنتاج الفكري الممثل للذاكرة الوطنية ولتسهيل عملية الضبط والإتاحة المحددة لتلك المصادر النادرة .

المراجع

1- خليفة، شعبان عبد العزيز. التربية المكتبية في المدرسة العربية.- القاهرة: المكتبة الأكاديمية. ص39. 2015

Khalifa, Shaban Abdulaziz. Libraries Education in Arabic School Cairo: the Academic Library: p39. 2015

2- سانا. الكتب النادرة في مكتبة الأسد الوطنية ومشكلات توثيق المخطوطات.- ندوة عقدت على هامش دورة معرض مكتبة الأسد الوطنية 31 بتاريخ 2019/9/17

https//www.sana.sy

SANA. Rare Books at al-Assad National Library and Problems of Authenticating: Sympsium Held on 31 al-Assad National Library Fair, September 17,2019

3- السريع، سريع محمد. الكتب النادرة: تعريفها، مصادرها، حفظها واسترجاعها.- مكتبة الإدارة،ج4، ع1 (سبتمبر) ص ص26-27. 1986

Assareeh, Sareeh Muhammad. Rare Books: Definition and Sources, Storing and Retrieval. Administration Library, Part4,A1(September): pp.26-27.1986.

4- الصوينع، علي سليمان. الكتب العربية النادرة: دراسة في المفهوم والشكل. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. 2001

Asweineih, Ali Suleiman. Rare Arabic Books: A Study in Concept and Form. Riyadh: king Fahed National Library. 2001

5- عبد الهادي، محمد فتحي. رقمنة الكتب النادرة وتقنياتها: المكتبة التراثية بجامعة القاهرة نموذجا.ص ص175– 204 . 2015

Abdul Hadi, Muhammad Fathi. Digitizing Rare Books and Its Technicalities. The Heritage Library at Cairo University, an Example: pp.175-204. 2015

6- العسافين، عيسى عيسى. المعلومات وصناعة النشر: مع إشارة خاصة للواقع السوري. – دمشق: دار الفكر.ص ص201–202. 2001.

Assafein, Issa Issa. Information and Publishing Industry: with Special Reference to Syrian Status Queue. Damascus: Dar al-IKER:PP.201-202. 2001.

7- قدورة، وحيد. بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام: تطور المحيط الثقافي(1706– 1787م) الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثانية، 18.ص25. 1993.

Kaddoura, Waheed, Beginning of Arabic Publishing in Istanbul and Damascean Countries: Development of Cultural Environment 1706-1787: Riyadh: king Fahed National Library. Series 02:18: p.25. 1993 .

8- قدورة، وحيد. أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام، في ندوة الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر: 22– 23 اكتوبر/ تشرين الأول 1995. – أبو ظبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.ص ص120–121، 1996

Kaddoura, Waheed, Primary Arabic Publications in Turkey and Damascean Countries: A Symposium on Arabic Publishing up until the End of the 19 Century, October 22-23, 1995: Abu Zabi: Jumaa al-Majed Center for Culture and Heritage: pp.120-121. 1996.

9- معجم المعاني الجامع: عربي عربي https//www.almaany.com

Comprehensive Dictionary of Meanings: Arabic- Arabic.

10- المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات: انكليزي، عربي. أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله. – الرياض: دار المريخ.ص177. 1998.

Encyclopedia Dictionary for LIBRARY and Information Terms: English- Arabic. Prepared by Ahmad Muhammad al- Shami and Seid Hasab Allah: Riyadh: Dar al- Marreikh: p.177. 1988.

11-الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات: انكليزي، عربي. أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله. – القاهرة: المكتبة الأكاديمية، مج3.ص ص1898–1899. 2001.

Arabic Encyclopedia for Library, Information and Computer Sciences: English- Arabic. Prepared by Ahmad Muhammad al- Shami and Seid Hasab Allah: Cairo: the Academic Library: pp.1898-1899. 2001.

12- ODLIS: Online Dictionary of library and information. https//www.library.uceb.edu